مجلـــة كليـــة العلوم الاسلاميـــــــة
العدد(٦٤) ١٢ جمادي الأول ١٤٤٢هـ / ٣١ كانون الأول ٢٠٢٠م

حكم الإتقان في الشريعة الإسلامية وأثره في البناء الإبداعي للفرد والمجتمع

The rule of perfection in Islamic law and its impact on the creative construction of the individual and society

الباحث

م.د. مُعَنّى وليد ناجي الأدهمي

جامعة الانبار

researcher

PH.D. MUANNA W.N ALADHAMI.

ملخص البحث

يصور البحث حكم الشريعة الإسلامية في مسألة **الإتقان** الذي يرتبط ارتباطا وثيقاً بالنتاج العملي للإنسان، مروراً بأفكاره التي تعد المصدر الرئيس للنتاج القولي الذي يصبو إلى رسم الأفعال وبنائها، وأثر تطبيقه في تحقيق معنى الإبداع الذي دعا إليه الإسلام للوصول إلى الجودة في بناء الفرد والمجتمع على وفق منظومة إسلامية تحفظ لكلٍ حقوقه جاعلة من الإنسانية الأصل في انطلاق ذلك المبدأ، وما يحدثه انعدام **الإتقان** في النتاج القولي والفعلي على مستوى الفرد، وآثاره المترتبة على مستوى المجتمع.

الكلمات الدالة : الشريعة الإسلامية، الإتقان، الإبداع، الإنسان.

المقدمة

الحمد لله الذي قدم من شاء بفضله ، واخر من شاء بعدله ، لا يعترض عليه ذو علم بعلمه، ولا يسأله مخلوق عن علة فعله، وأستعينه استعانة من فوض أمره إليه وأقر واعترف أنه لا ملجأ ولا منجا منه إلّا إليه، واستغفره استغفار مقر بذنبه معترف بخطيئته، وأُصلي وأُسلم على نبيه ورسوله وأمينه على وحيه أشرف من وطيء الحصى بنعله، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين... وبعد:

يستعرض هذا البحث أهمية الإتقان وحكم الشريعة الإسلامية فيه، ومدى ارتباطه بالنتاج العملي للإنسان، مروراً بأفكاره التي تعد المصدر الرئيس للنتاج القولي الذي يصبو إلى رسم الأفعال وبنائها، وأثر تطبيقه في تحقيق معنى الإبداع الذي دعا إليه الإسلام للوصول إلى الجودة في بناء الفرد والمجتمع على وفق منظومة إسلامية تحفظ لكلٍ حقوقه جاعلة من الإنسانية الأصل في انطلاق ذلك المبدأ، وما يحدثه انعدام **الإتقان** في النتاج القولي والفعلي على مستوى الفرد، وآثاره المترتبة على مستوى المجتمع، مبتدئاً ببيان لخلفية الدراسة، والتي تشتمل على عرض: (مشكلة البحث، أهميته، حدوده، أهدافه)، ثم المبحث الأول الذي نبين عن طريقه: (التعريف بالإتقان، وبيان حكمه وأدلة مشروعيته من القرآن والسنة)، أما المبحث الثاني، فيتناول بياناً لـ(أثر اعتماد مبدأ الإتقان في البناء الإبداعي للفرد والمجتمع)، ثم المبحث الثالث الذي استعرضنا فيه (صور من شهادة علماء الغرب للأثر الإبداعي للحضارة الإسلامية في بلادهم)، ثم المبحث الرابع والأخير نبين فيه أهم الاستنتاجات والتوصيات التي توصل إليها الباحث، الله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لجلال وجهه، وأن ينفع به ، والحمد لله رب العالمين.

(الباحث)

مشكلة البحث:

تغييب المسلمين لجانب مهم من الجوانب العلمية، والتي أُمروا أن يبذلوا قصارى جهدهم للوصول إلى الأفضل دائماً، عن طريق **الإتقان** الذي بات منعدماً في أغلب المجتمعات الإسلامية؛ لانعدام الوازع الشرعي الذي حكم بوجوب اعتماد مبدأ **الإتقان** وبين أثره على مستوى الفكر والقول والفعل.

أهمية البحث وحدوده:

بيان حكم الشريعة الإسلامية في **الإتقان** وما يحدثه من دعم للنمو الإبداعي، وأثر ذلك في البناء الفكري؛ لينعكس ايجاباً على جوانب الحياة المتنوعة التي يعيشها الإنسان، وبيان مدى ارتباط هذا المبدأ بالتكليفات التي حملها الإنسان وأُمِر بأدائها على الوجه الذي يحقق له الغاية العظمى من وجوده وهي مرضاة الله تعالى والارتقاء المتنامي في أداء العبادات وجوانب المعاملات على أتم وجه.

أهداف البحث:

١. بيان حكم **الإتقان** ومدى ارتباطه بالأمانة لأهم الجوانب التي يرتقي بها الإنسان، وهي: (الفكر والقول والعمل).
٢. الحرص على إحياء مبدأ **الإتقان**، وبيان الآثار السلبية المترتبة عند الاستهانة بهذا المبدأ، من هدم للقيم على الجوانب الثلاثة آنفة الذكر في النقطة الأولى .
٣. الرقي بالمستوى العملي لدى الإنسان عن طريق التزامه بمبدأ **الإتقان** على الوجه الذي حكم به الشرع، وبيان مدى ارتباط الجانب العملي في الإنسان بجانبيه الفكري والقولي، ليمتد تطبيق حكم هذا المبدأ فيشمل أفكاره أولاً التي تعد مصدر الأقوال، ومن ثم الأقوال التي تُعدُّ مصدراً لرسم أفعال الإنسان وسلوكياته في الجوانب العملية التي يقوم بها من عبادات و معاملات.

٤. غرس جوهر **الاتقان** ضمن المنظومة القيمية التربوية للأجيال المسلمة الواعدة؛ لإعداد نشء يمكن عن طريقه إحياء إرث هذه الأمة وأمجاد أسلافها، وما وصلت إليه في رقيها المنبثق من **الإبداع** المستند إلى **الإتقان** المستوحى من **أصول هذا الدين** المتين: **(القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة).**

المبحث الأول:

التعريف بالإتقان، وبيان حكمه وأدلة مشروعيته من القرآن والسنة .

المطلب الأول: التعريف بالإتقان: الإتقان لغة:

من تقِنَ يَتقَن، تَقَنًا وتَقانةً، فهو تِقْن وتَقِن. وأتقنَ يُتقن، إتقانًا، فهو مُتقِن، والمفعول مُتقَن. يقال: تقِنَ الشَّخصُ: أي حذِق وأجاد. وأتقنتُ الشيء: أحكمتهُ. ومُتْقِنٌ للأَشياء حاذِقٌ. وَرَجُلٌ تِقْنٌ: وَهُوَ الحاضرُ المَنْطِق وَالْجَوَابِ. وأتقنَ العملَ: أحكمه، أجاده، ضبطه(١).

وقال صاحب مقاييس اللغة: (تقن) التاء والقاف والنون أصلان: أحدهما إحكام الشيء. والثاني الطين والحمأة. فالقول الأول أتقنت الشيء أحكمته. وأما الحمأة والطين، فيقال: تقنوا أرضهم، إذا أصلحوها بذلك(٢).

وعرفه صاحب تاج العروس، بقوله: هو (مَعْرِفَةُ الأدلَّةِ وضَبْطُ القَواعِدِ الكُلِّيَةِ بجُزْئِيَّاتِها)(٣).

أما تعريف الإتقان في الاصطلاح:

فلا يغيب المعنى الاصطلاحي لكلمة **الإتقان** المستنبط من أقوال الفقهاء وآرائهم(٤)، عن المعنى اللغوي الذي وضع لها عند أغلب العلماء، فهي تكاد تندرج تحت معنى: استثمار الطاقات البشرية التي وهبها الله سبحانه وتعالى للإنسان في إحكام الشيء، والعمل على إخراجه على أتم وجه، ضمن الإمكانات المتاحة. **(الباحث)**

وبذلك يتبين أن **الإتقان** لم يقتصر على النتاج العملي للإنسان، إذ انَّ **الإتقان** يتعدى إلى القول وقبله الفكر، فمن أبدع في الرقي بفكره تنزه عن الرذائل بقوله، ومن أبدع في الرقي

بقوله سعى جاهداً إلى ضبط أفعاله، فإن كان مسلماً كان الأصل في كل ذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى عن طريق نيته المتجددة في تلك المسيرة فتتحقق بذلك العبادة في أسمى معانيها على الوجه الذي أمر بها الله تعالى عباده، وعلَّمَنا اياه نبينا محمد ـ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ـ ، وهو – بذلك– يحظى بخيري الدنيا والآخرة، وإن كان غير مسلم حقق مبتغاه في الدنيا ووفق بذلك جزاءً لإخلاصه في ذلك الاتجاه، وهي من عدالة الله تعالى تجاه خلقه.

المطلب الثاني: حكم الإتقان في الشريعة الإسلامية، وأدلة مشروعيته من القرآن والسنة

الفرع الأول: أدلة مشروعية الإتقان من القرآن والسنة:

دلت على مشروعية **الإتقان** الآيات القرآنية، والسنة النبوية، وترجم ذلك عمل الصحابة ـ **رَضِيَ الله عَنْهُم** ـ ومن تبعهم، ذلك العمل الذي بنيت على إثره حضارة شهد لها القاصي والداني، وسنستعرض بإذن الله بعض الأدلة وأقوال بعض العلماء الاستدلالية فيها:

أ.الأدلة من القرآن الكريم :

١. قوله تعالى: { **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ**}.**[سورة التوبة: الآية ١٠٥].**

وجه الاستدلال:

قال صاحب تفسير المنار ـ **رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى** ـ في معرض تفسيره لهذه الآية:(أي: وقل لهم أيها الرسول: اعملوا لدنياكم وآخرتكم ولأنفسكم وأمتكم ـ حذف متعلق العمل يدل على العموم، وقدره بعضهم: اعملوا ما شئتم ـ فإنما العبرة بالعمل لا بالاعتذار عن التقصير، ولا بدعوى الجد والتشمير، وخير الدنيا والآخرة منوطان بالعمل، وهو لا يخفى على الله ولا على الناس أيضاً فسيرى الله عملكم خيراً كان أو شراً، فيجب عليكم أن تراقبوه تعالى في أعمالكم، وتتذكروا أنه ناظر إليكم، عليم بمقاصدكم ونياتكم لا تخفى عليه منكم خافية،

وجدير بمن يؤمن برؤية الله لعمله أن يتقنه، وأن يخلص له النية فيه، فيقف فيه عند حدود شرعه، ويتحرى به تزكية نفسه والخير لخلقه)[٥].

وبذلك يتبين ان الآية الكريمة إشارة إلى إتقان العمل، من عبادات ومعاملات إذ اخبر الله تعالى بمراقبته لأعمال عباده، وأن هذه الأعمال قد تكون سبباً لتوفيقهم في الدنيا والفوز في الآخرة عن طريق الحرص على اعتماد مبدأ الإتقان، فمراقبة الله تعالى لأعمال عباده تستوجب اتمام العبد لذلك العمل على أكمل وجه، أيّاً كان ذلك العمل سواءٌ كان في العبادات وهي الأصل، أم في المعاملات. **(الباحث)**

٢. قوله تعالى: **{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}**.[سورة المائدة: الآية ٨].

وجه الاستدلال:

إنَّ معنى القوام في قوله تعالى: **{قَوَّامِينَ لِلَّهِ}**، **أي:** من يبالغ بالقيام بالشيء بإتقان، والإتيان به على الوجه الأكمل، وكونه لله تعالى، معناه: أن تكون تلك المبالغة في الفعل لأجل الله تعالى، لَا شيء سواه، وهذا يشمل ما يعمله الإنسان في الحياة، سواءٌ أكان عبادة أم كان أمراً من أمور الدنيا، وإذا قصد بأعماله وجه الله، وما فيها من خير للعموم كان في عبادة مستمرة، **وليست العبادة مقصورة على الصلاة والصوم والحج**، بل كل عمل مشروع قصد به وجه الله تعالى[٦].

ب. الأدلة من السنّة: أشارت السُنَّة النبوية إلى وجوب الإتقان في أحاديث كثيرة ، نكتفي بذكر بعضها، وهي الآتي:

١. عن أم المؤمنين عائشة ـ **رَضِي الله عَنْهُا** ـ قالت: قال رسول الله ـ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ـ:((إن اللّه يُحبُّ إذا عَمِلَ أحَدَكُم عملاً أن يُتقِنَهُ))[٧].

وفي رواية أخرى: ((...، ولكن الله تعالى يحب من العامل إذا عمل أن يحسن))[٨].

وجه الاستدلال:

في الحديث دلالة واضحة على مكانة **الإتقان** وحكمه في الشريعة الإسلامية، إذ ارتبطت بمحبة الله تعالى فكان من بين أهم العبادات التي يتقرب بها العبد إلى الله تعالى لتحقيق الغاية العظمى التي يبتغيها العبد في حياته، وهو –بذلك– يحقق معنى الإحسان الذي اشارت إليه الرواية الثانية للحديث، والذي له ركن واحد وهو الذي بينه لنا نبينا محمد ـ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ـ في حديث جبريل ـ **عليه السلام** ـ ، بقوله: ((...،أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ ، فَإِنَّهُ يَرَاكَ، ...))[٩]، فحَرِص العبد بذلك على استحضار المراقبة وابتغاء الجودة في مخرجاته الفكرية والقولية والعملية؛ ليحظى بتحقيق مبتغاه في الدنيا في جودة العطاء والفوز بالآخرة، فيدخل بذلك في قوله تعالى: **{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [سورة يونس: الآية٢٦]**. إذ أشارت الآية الكريمة إلى سبب دخولهم الجنّة والفوز بالزيادة التي هي النظر إلى وجه ربهم الكريم؛ هو احسانهم في الدنيا واخلاصهم عملهم عن طريق حرصهم على اتقانه على الوجه الذي يرضي ربهم.

٢. عن سَعِيدُ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– : ((عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ)) قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: ((فَيَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ)) قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: ((فَيُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ)) قَالُوا: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: ((فَيَأْمُرُ بِالخَيْرِ)) أَوْ قَالَ: ((بِالْمَعْرُوفِ)) قَالَ: فَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: ((فَيُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ فَإِنَّهُ لَهُ صَدَقَةٌ))[١٠].

وجه الاستدلال:

في الحديث دلالة على أنَّ عمل المسلم صدقةً، بل واجبٌ عليهِ أن يعملَ بما ينفعُ الآخرين، فيصبحُ المسلم بعمله رمزاً للنشاطِ والعملِ والإتقانِ ونفعِ المجتمعِ الذي يعيشُ فيهِ.

٣. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ـ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ـ ، قَالَ : ((لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ يَعْمَلُ فِي صَخْرَةٍ صَمَّاءَ لَيْسَ لَهَا بَابٌ ، وَلاَ كُوَّةٌ لَخَرَجَ عَمَلُهُ لِلنَّاسِ كَائِنًا مَا كَانَ))[١١].

وجه الاستدلال:

(فإذا كانت الخلائق النفسية، والأعمال السرية، لا تخفى على الناس مهما يكن من محاولة صاحبها لإخفائها، فماذا يقال في الأعمال التي هي مقتضى العقائد والأخلاق وما انطبعت عليه النفس من الملكات، ومرنت عليه من العادات؟ نرى المؤمنين الصادقين يخفون بعض أعمال البر التي يستحب إخفاؤها كالصدقة على الفقير المتعفف ستراً عليه، ومبالغة في الإخلاص لله تعالى الذي ينافيه الرياء وحب السمعة، ولكنهم لا يلبثون أن يشتهروا بها، ونرى بعض المنافقين يخفون بعض أعمال النفاق خوفاً من الناس لا من الله، ولكنهم لا يلبثون أن يفتضحوا بها)[١٢].

٤. عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ، وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ اللهِ، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ))[١٣].

وجه الاستدلال:

في الحديث دلالة على ان القيام بالعملِ على أتمِّ وجهٍ عبادة تُضاعِفُ الأجرَ، ولم يُقصد بهذا الحديث العبد فقط بنصحه وإتمام عمله، وإنما هو ينطبقُ على جميعِ الأعمالِ، وعلى كلِ من وُلِّيَ أمراً من أمورِ المسلمين، فالعبرةُ بعمومِ اللفظِ لا بخصوصِ السببِ.

ج. ومن المعقول:

فإن من أهم مصادر القوة في الاسلام، وضوح القصد واخلاص النية واتقان النتاج، فالحرص على اتيان ما فيه منفعة الدارين، لا يتأتّى إلّا عن طريق **الإتقان** على أصعدته

الثلاثة **(الفكري والقولي والفعلي)**، والعمل على الأخذ بالأسباب الداعية لذلك والتحلي بروح الأمل، والتوكل على الله تعالى من أهم المصادر التي يستمد منها المؤمن قوته في طريق العطاء، والإيمان بقدر الله لما قد يفوته مع حرصه وتفانيه، وهذه هي عوامل القوة التي دعا الإسلام متبعيه أن يتصفوا بها، فكان نتاجها حضارةً ساد فضلها وأثرها أرجاء الدنيا بأسرها. **(الباحث)**

الفرع الثاني: حكم الإتقان:

إن من الثابت شرعاً أَنَّ ما لا يتم الواجب إلّا به فهو واجب، وكذا المستحب، والإتقان على المستوى العملي يكون **واجباً إذا ترتب على انعدامه خلل في النتاج** إذ هناك من الأعمال ما لا يحتمل التكرار بغية التجربة والتحسين سواءٌ كان في مجال العبادات أم المعاملات؛ لأن التفريط بمبدأ **الإتقان** هنا يؤدي إلى بطلان العبادة في العبادات، وإلحاق الضرر بالآخرين في جانب المعاملات، وبذلك يكون إتقان العمل فريضةٌ على المسلمِ؛ لأنَّ عملَ المسلم في الحياةِ الدنيا يُعتبرُ عبادةً وجهاداً لهُ إذا صحّت فيهِ النيةُ، وإذا قدّمَ عملهُ بإتقانٍ وأمانةٍ.

وقد يكون الإتقان في بعض الأحيان مستحباً، لكن الإتيان به يعد أكمل وأحب إلى الله ورسوله، وأرقى إلى الصواب إذا ما كان العمل يمكن انجازه بجودة مرضية إلّا انّ الإتقان يزيد من التقانة والكمال ويضاعفها، ففي هذه الحالة يعد **الإتقان** سمة ومبدأ دعا إليه الشارع وحث على الإتيان به قدر المستطاع. **(الباحث)**

المبحث الثاني:

أثر اعتماد مبدأ الإتقان في البناء الإبداعي للفرد والمجتمع

المطلب الأول: الإتقان وأثره في البناء الإبداعي للفرد:

إن تحقيق عوامل القوة من أهم ما حث إليه الإسلام على مستوى الفرد في شتى جوانب الحياة، **المادية** منها و**المعنوية**، فأمر بأداء الأمانة على أتم وجه، ووجه أنَّ كل فرد مؤتمن على جوانب عديدة في حياته ابتداءً بأسرته التي تعد مصدر قوة عطائه الاجتماعي ونواة النجاح له، مروراً بأفكاره وأقواله وانتهاءً بنتاجاته العملية، ففي جانب العبادات أُمِرَ بإتيانها على أتمِّ وجه ضمن إطار الاستطاعة إذ بين لنا الشارع أن التكليف منوط بالاستطاعة وهي اشارة إلى وجوب أدائها أيّاً كان حال المسلم ضمن أحكام الاستطاعة التي بينها لنا الشارع كأحكام(الصغير و الكبير والمعافى والمريض والمقيم والمسافر والعاقل والمجنون، ...الخ)، وهي أحكام تدل على عظمة هذا الدين في مراعاته لحال متبعيه، أما في جانب المعاملات فقد منح الشارع هذا الجانب أهمية لا تقل أهمية عن العبادات، وهي دالة أخرى على عظمة هذا الدين الحنيف لما يتعلق بها من صلاح شأن العباد في ما بينهم، فأمر الشارع متبعيه في هذا الجانب بوجوب استثمار جميع الإمكانات المتاحة للسعي وراء تحقيق الجودة في النتاج والتي تعد أول ثمار النجاح النابع عن وضوح الرؤيا وتحيد الهدف للوصول إلى الغاية العظمى من وجود الإنسان وهي عبادة الله تعالى على الوجه الذي أمر به، وممّا أَمر الله تعالى به عباده عمارة الأرض التي يكون عائدها للخلق انفسهم وجعلها من بين القربات والعبادات التي يتقرب بها العبد إلى ربه باستحضاره لنية سليمة في السعي وراء تحقيق الأفضل دائماً طاعةً لأمر ربه.

المطلب الثاني: الإتقان وأثره في البناء الإبداعي للمجتمع:

لقد سعى الإسلام إلى إيجاد عوامل القوة لمتبعيه، لبناء مجتمع يتسم بحضارة عريقة تستمد قوتها من شرعتها الإلهية، وتعدية ثمارها لغيرهم تحقيقاً لأسباب عمارة الأرض، إذ عدّ الإنسانية نهجاً مستقلاً في طريق العطاء، ففي الوقت الذي بين للناس جمعاً طريق الحق والنجاة في المعتقد أمر متبعيه بعدم إكراه الغير وارغامهم على اتباع ما عرفوه من الحق، وفي الوقت الذي دعا فيه متبعيه إلى وجوب اعتماد مبدأ **الإتقان** في النتاج العملي للمؤمن؛ للوصول إلى الجودة في النتاج، لم يُحَرِّم عليهم التعامل والإتجار مع غير المسلمين، وهي إشارة أخرى إلى عظمة هذا الدين إذ منح لغير متبعيه فرصة الإتقان والإبداع من أول يوم بنيت فيه الحضارة الإسلامية على يد نبينا محمد ـ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ـ والخلفاء الراشدين من بعده ـ **رَضِي الله عَنْهُم** ـ ومن تبعهم بإحسان، تلك الحضارة التي عمَّ إبداعها وتقانتها أرجاء المعمورة حتى شهد لها الغرب أنفسهم؛ لما أحدثته من أثر في رسم طريق التقانة والنجاح لهم، فبنوا حضارتهم التي تلقي ثمارها في دنياهم تلبية لعدالة الحق ـ **جلّ جلاله** ـ الذي وهب المتقن لعمله المخلص في نتاجه الساعي لعمارة أرضه استشعار لذة ثمار نتاجه في الدنيا، وحرمهم الآخرة لكفرهم بها، وهو ما سنبينه في المبحث الثالث.

المبحث الثالث:

صور من شهادة علماء الغرب للأثر الإبداعي للحضارة الإسلامية في بلادهم:

إن إقرار الغرب من غير المسلمين لأثر الحضارة الإسلامية في التقدم والرُقيّ الذي وصلوا إليه ما كان إلّا لما رأوه من إبداع ورُقيّ في هذه الحضارة التي امتدت لغير متبعيها وجعلت من الإنسانية أحد عوامل نهج البناء فيها، وهذه صور تعرض بعض شهاداتهم المستمدة من مؤلفات قاموا بنشرها تبين عظمة الحضارة الإسلامية ومكانتها وما أحدثته من تغيير ايجابي في نهجهم وعطائهم:

١. تقول المستشرقة الألمانية **سيجريد هونكه:**

(إن الوقت قد حان للتحدث عن شعب قد أثّر بقوة في مجرى الأحداث العالمية ويدين له الغرب، كما تدين له الإنسانية كافة بالشيء الكثير)[١٤].

٢. وقال المؤرخ الأميركي **بريفولت:**

(ليس ثمة مظهر واحد من مظاهر الحضارة الأوروبية إلّا ويعود فيه الفضل للمسلمين بصورة قاطعة)[١٥].

٣. وقال **دانيل بريفولت** : (منذ عام ٧٠٠م بدأت إشراقة الحضارة العربية الإسلامية تمتد من شرقي المتوسط إلى بلاد فارس شرقاً، واسبانيا غرباً، فأعيد اكتشاف قسم كبير من العلم القديم، وسجّلت اكتشافات جديدة في الرياضيات والكيمياء والفيزياء وغيرها من العلوم ...، وفي هذا المجال كما في غيره كان العرب معلمين لأوربا، فساهموا في نهضة العلوم في هذه القارة)[١٦].

٤. ويقول الباحث الألماني **د. بير بورمان:** (إن انجازات المسلمين في العالم واضحة جلية، في كل شؤون العلوم والثقافة، بل إن انجازاتهم في مجال الطب لا يستطيع أحد إنكارها، وهذا هو ما دفعني إلى تأليف كتاب بعنوان – الطب الإسلامي في القرون الوسطى)[١٧].

٥. ويقول **فلورين كاجوري**: (إن علماء العرب والمسلمين هم أول من بدأ ودافع بكل جدارة عن المنهج التجريبي، فهذا المنهج يعتبر مفخرة من مفاخرهم، فهم أول من أدرك فائدته وأهميته للعلوم التطبيقية، وعلى رأسهم ابن الهيثم)[١٨].

٦. وقال **ماكس فانتيجو**: (كل الشواهد تؤكد أن العلم الغربي مدين بوجوده إلى الحضارة العربية الإسلامية، وأن المنهج العملي الحديث القائم على البحث والملاحظة والتجربة، والذي أخذ به علماء أوربا إنما كان نتاج اتصال العلماء الأوربيين بالعالم الإسلامي)[١٩].

ففي هذه الصور المتقدمة شهادة حق ممن نظر إلى الأثر الإبداعي والابتكاري الذي أحدثته الحضارة الإسلامية في حق الإنسانية جمعاء، فضلاً عن متبعي هذا الدين المتين، وهذه الشهادة تأتي عن إعمال القيم الإنسانية التي أودعها الله ـ **جلّ جلاله ـ** في بني البشر، اتباعاً لمبدأ الحيادية والعدالة في نسب الفضل إلى أهله، فكانت خير دليل للقاصي والداني أن **الإحسان والإتقان** اللذين يعدان من أهم عوامل البناء الإبداع مصدرهما الحضارة الإسلامية، وأصل الدعوة إلى التعلم والعمل به هو الإسلام، وأفضل مكانة منحت للعالِم المتقي لربه في علمه واكتشافاته، هي المكانة السامية والشرف الخالد الذي منحه الإسلام له، فعد العلم إرث الأنبياء الوحيد لمن بعدهم، فها هي مناهل اكتشافات علماء الإسلام يسطع ضياؤها لينير كل علوم الدنيا وحضاراتها.

نسأله تعالى أن ييسر لنا سبل العلم والعمل الصالح على الوجه الذي يرضاه عنّا، ويستعملنا بما فيه صلاح دنيانا وآخرتنا .

المبحث الرابع

أهم الاستنتاجات والتوصيات التي توصل إليها الباحث

الاستنتاجات:

١. ان الالتزام بمبدأ **الإتقان** يعد من بين العبادات المفقودة التي تتمثل بمراقبة الله تعالى عن طريق الحرص على أداء الأمانة التي كلِّف بها الإنسان في حياته الانتقالية في الدنيا؛ للوصول إلى الرقي المتوالي في جودة الأداء على صعيد **الفكر والقول والفعل** التي تنبثق عن النطاقين **المادي والمعنوي** للإنسان، المرتبط ارتباطاً وثيقاً بالعبادات والمعاملات التي هي محور التكليف.

٢. لقد حكم الشارع بوجوب التزام مبدأ **الإتقان**، وجعله من بين المبادئ العليا التي يجب على المسلم اعتمادها في طريق الوصول إلى رضا الله تعالى؛ للفوز بآخرته وتحقيق آمال دنياه.

٣. إنَّ من عدالة الله ـ **جلّ جلاله** ـ أن جعل **الجزاء من جنس العمل**، ومن هذا المنطلق كان جزاء غير المسلمين ممن اعتمدوا مبدأ **الإتقان** في الجانبين **المادية والمعنوية** ضمن مخرجاتهم **الفكرية والقولية والفعلية**، بأن جعل لهم استشعار ثمرة الإتقان والإخلاص في الدنيا، فوصلوا إلى ما وصلوا إليه، في الوقت الذي فرَّط المسلمين بحضارة أسلافهم التي ورثوها عن مدرسة نبينا الكريم محمد ـ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ـ.

٤. انَّ ما نراه من واقع مرير تشهده الأمة الإسلامية في يومنا هذا لم تصل إليه إلّا عن طريق إهمال مبدأ **الإتقان** المنبثق من تضييع الأمانة التي أوجب الإسلام على المسلم أداءها على أتم وجه ضمن الطاقات المتاحة التي وهبها له الله تعالى؛ لاستثمارها على الوجه الذي يحقق له الأمن في حياته والفوز بآخرته.

٥. إنَّ غياب الوازع الديني الذي يجب أن يكون رفيق المؤمن في حياته بجميع اصعدتها وجوانبها، أدى إلى إهمال الغاية التي خلق لأجلها الإنسان، وهي عبادة الله تعالى على الوجه الذي أمر به.

٦. إن اتقان العمل يعد صورة من صور التكافل الاجتماعي إذ ان كما للفرد حقوق تجاه مجتمعه، عليه واجبات ومن أهمها **اتقان** العمل؛ ليتحقق به الإفادة القصوى من المجتمع، وهو ما دعا الإسلام إليه، إذ غلّب تحقيق المصلحة العامة على الخاصة، وبالإتقان لا تفويت لكلتا المصلحتين، إلّا انَّ بغيابه تفويت للمصلحة العامة إذ ان ثمرة العمل الخاص يعد حقّاً للعامة.

٧. أما على الصعيد العملي للإنسان، فإن تعمد التقصير في العمل النابع عن الإهمال وعدم الاهتمام في إتمامه على أكمل وجه غير من **نوى الإتقان** وسعى إلى الكمال ولكن آل إلى القصور في نتاجه، فهذا مما لا شك فيه لا يعامل معاملة الأول؛ لاختلاف النية الّتي يبنى عليها الحكم في الشريعة الإسلامية؛ ولوجود القصد لدى الاثنين، لكنَّ الأول قصده آل إلى التعدي على حقوق الآخرين المتعلقة بنتاجه، فأثم على ذلك؛ لتفريطه بواجب منوط بجانبه العملي، أما وجد القصد للرقي بالنتاج العملي لدى الثاني جعل منه حافزاً لتحسين النتاج والسعي وراء جودة المنتج، لذا لا يعفى من ضرورة التكرار للوصول إلى الأفضل، فالأفضلية تأتي مع التعلم والتكرار، وهذا ما جبل عليه الإنسان.

التوصيات :

١. الحرص على إعداد جيل جديد جدير بالمسؤولية وتحمّل القضية ويعي مكانة الأمانة وحكمها؛ ليكون الإتقان من أهم مبادئه في حياة العطاء لديه على الصعيدين **المادي والمعنوي** ضمن مسيرة التكليف التي تبدأ بالبلوغ وتنتهي بالموت، لتتحقق عمارة المنظومة القيمية لدى الإنسان على الوجه الذي رسمه أسلاف أمتنا الإسلامية ضمن حضارة الإسلام العظيمة التي أنشأتها مدرسة سيدنا محمد ـ **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** ـ كما أشرنا سلفاً.

٢. الاهتمام بالمنظومة التربوية للأجيال المقبلة؛ لرسم المنهج الصحيح للإنسان، والعمل على استثمار حياته العلمية والعملية التي تبدأ بفكر وتنتهي بقول وفعل؛ ليكون عاملاً مهماً في زوال خطر تقديم المصلحة الخاصة على العامة، وتحقيق الغاية الشخصية على حساب الدين والمجتمع.

٣. وجوب الاهتمام بغرس مبدأ أخلاقيات المهنة لأصحاب التخصص على جميع الأصعدة؛ لما تشهده المهن في يومنا هذا من تغليب الاهتمام بالعائد المادي على حساب الواجب عليه تجاه المجتمع والدين، وذلك يتحقق بالتزام الجودة في النوع لا الكم في تحقيق العائد المالي.

٤. ينبغي على المسلم أن يحذر أشدَّ الحذر من أن يقع في الرياء، أو السمعة، أو النفاق، وعليه أن يحاسب نفسه، على كل عمل يقدّمه، ويصدر عنه؛ ذلك أنّ من شعر بمراقبة الله عز وجل له في كل صغيرة وكبيرة أتقن عمله ونال محبّة الله – **عز وجل**– ومحبة عباده، وبذلك على المسلم أن يُراقب عمله، فما كان منه خالصاً لله تعالى فليتمّه، وما كان فيه شيء من الرياء فليتركه، وعليه أن يهدف من إتقان عمله رضا الله عزّ وجل، والإخلاص له وحده سبحانه ، وبذلك يتحقق إتقان المسلم لعمله، وما ينتج عن ذلك من فوائد عظيمة بالإضافة إلى الأجر والثواب من الله عزَّ وجلَّ في الآخرة ينال أيضاً

التوفيق والنجاح في الدنيا، وإتقانه يدعم نجاح المجتمع الذي يعيش فيه، فيرفع من معدل الإنتاجِ ونوعيته، فيعمُّ الخير والنفعُ جميع المجتمع.

هوامش البحث

(١) ينظر: (الفارابي، ١٩٨٧م، تاج اللغة: ج٥/ ٢٠٨٦)، (زكريا، ١٩٨٦م، مجمل اللغة: ١٤٩)، (أحمد، ١٩٩٨م، أساس البلاغة: ج١/صـ٩٥)، (عبد القادر،١٩٩٥م، مختار الصحاح: صـ ٨٣)، (ابن منظور، ١٩٩٤م، لسان العرب: ج١٣/صـ٧٣)، (عبد الحميد، ٢٠٠٨م، معجم اللغة العربية المعاصرة: ج١/صـ٢٩٥).

(٢) (زكريا،١٩٧٩م، معجم مقاييس اللغة: صـ ٣٥١).

(٣) (عبد الرزّاق الحسيني، تاج العروس: ج ٣٤/صـ٣١٦).

(٤) لم أجد في ما قرأت تعريفاً واضحاً للإتقان عند الفقهاء ، ولكن يستنبط من اقوالهم و آرائهم كما أشرت، واكتفوا – **رحمهم الله تعالى** – بما أشار إليه بعضهم من تعريفات عند أهل اللغة.

(٥) (القلموني، ١٩٩٠، تفسير المنار: ج١١/صـ٢٧) .

(٦) ينظر: (أبو زهري، زهرة التفاسير: ج٤/٢٠٥٧-٢٠٥٨).

(٧) رواه (الطبراني، المعجم الأوسط: ج١/صـ٢٧٥)، و(البيهقي. ٢٠٠٣ م، شعب الإيمان:ج٢/صـ٢٣٢) ، و(ابي يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى: ج٢/صـ٣٤٩).

(٨) رواه (الطبراني. ١٩٩٤م، المعجم الكبير: ج١٩/صـ١٩٩)، (البيهقي. ٢٠٠٣ م، شعب الإيمان:ج٧/ صـ٢٤٣).

(٩) أخرجه (البخاري. (١٩٨٧م)، الجامع الصحيح، حـ(٥٠) : ج١/ صـ٢٠)، (مسلم في صحيحه حـ(٢٦٦٤): ج٤/ صـ٢٠٥٢)، وآخرون.

(١٠) أخرجه (البخاري. (١٩٨٧م)، الجامع الصحيح، حـ(٦٠٢٢) : ج٨/ صـ١٣)، (مسلم في صحيحه حـ(١٠٠٨): ج٢/ صـ٦٩٩)، وآخرون.

(١١) أخرجه (أحمد. (١٩٩٨م)، في مسنده : ج٣/ صـ٢٨)، (ابن حبان. (١٩٨٨)، في صحيحه : ج١٢/ صـ٤٩١)، وآخرون.

(١٢) (القلموني، ١٩٩٠، تفسير المنار: ج١١/صـ٢٨) .

(١٣) متفق عليه، أخرجه (البخاري. (١٩٨٧م)، الجامع الصحيح، حـ(٢٥٥٠) : ج٣/ صـ١٥٠)، (مسلم في صحيحه حـ(١٦٦٤): ج٣/ صـ١٢٨٤)، وآخرون.

(١٤) (سيجريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، صـ١١).

(١٥) (بريفولت رويلت، بناء الإنسانية، نقلا عن انور الجندي: مقدمات العلوم والمناهج ج٤/٧١٠).

(١٦) (د.راغب السرجاني/٢٠١٠/ ماذا قدم المسلمون للعالم ج٢/٧٢٧).

(١٧) (نفس المصدر).

(١٨) (المصدر السابق).

(١٩) (المصدر السابق).

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. ابن حبان، م. (١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م)، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان. ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة.
٢. ابن حنبل، أ. (١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨ م)، مسند أحمد بن حنبل. ط١، بيروت: عالم الكتاب.
٣. ابن منضور، م. (١٤١٤ هـ–١٩٩٤ م)، لسان العرب، ط٣ بيروت: دار صادر. ج١٣/صـ٧٣.
٤. أبو زهرة، م. زهرة التفاسير، ط بون بيروت: دار الفكر العربي. ج٤/ صـ٢٠٥٧–٢٠٥٨.
٥. البخاري، م.(١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧م)، الجامع الصحيح. ط١، القاهرة: دار الشعب.
٦. الجندي، أ. (١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م)، مقدمات العلوم والمناهج، ط١، مصر: دار الانصار للنشر والتوزيع.
٧. الرازي، أ. (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، مجمل اللغة، ط٢ بيروت: مؤسسة الرسالة. صـ ١٤٩.
٨. الرازي، أ.(١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللغة، ط بدون بيروت: دار الفكر. ج١/ صـ٣٥٠–٣٥١.
٩. الزمخشري، م. (١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م)، أساس البلاغة، ط١ بيروت: دار الكتب العلمية. ج١/ صـ٩٥.
١٠. السرجاني، ر. (١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩ م) ، ماذا قدم المسلمون للعالم/ إسهامات المسلمين في الحضارة الإنسانية، ط٢ مصر: مؤسسة اقرأ.
١١. الطبراني، س. (١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤ م)، المعجم الكبير. ط٢، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
١٢. عبد الحميد، أ. (١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، ط١ القاهرة: عالم الكتب. ج١/٢٩٥.
١٣. عبد الرزّاق الحسيني، م. تاج العروس، ط بدون، الاسكندرية: دار الهداية. ج٣٤/صـ٣١٦.
١٤. عبد القادر، م. (١٤١٥هـ –١٩٩٥م)، مختار الصحاح، ط جديدة بيروت: مكتبة لبنان ناشرون. صـ ٨٣.

١٥.الفارابي، إ . (١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م)، تاج اللغة وصحاح العربية، ط٤ بيروت: دار العلم للملايين. ج٥/صـ ٢٠٨٦.
١٦.القلموني، م. (١٤١٠هـ/ ١٩٩٠ م)، تفسير القرآن الحكيم / تفسير المنار، ط بدون مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ج١١/صـ٢٧.
١٧.النيسابوري، م. المسند الصحيح. ط بدون، بيروت: دار إحياء التراث العربي .(ج٣/ صـ١٢٨٤ و ج٤/ صـ٢٠٥٢).
١٨.هونكه، س. (مستشرقة ألمانية)، (١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م) شمس الله تشرق على الغرب/ أثر الحضارة العربية في أوروبا، بيروت: دار الآفاق الجديدة ودار الجيل.

Abstract

The rule of perfection in Islamic law and its impact on the creative construction of the individual and society

This research explains to us the role of the Islamic religion in the issue of accuracy in speech and work, and how it is closely related to human production in his life, and Islam affirms that his idea is mainly reflected in his production, and how it affects the perception of the meaning of creativity. Therefore, our Islam affirmed the accuracy in every word or work we do to build a society in which people enjoy high quality in ethics and dedication in their work so that the Islamic system depends on humanity to preserve our rights on the other hand the research discusses the deliberate default and how it reflects on our production and how it makes it less good.

Key words: Islamic law; perfection; creativity; human.